النُّخب في شرق إفريقيا

أ. إبراهيم ناصر

باحث في شؤون الشرق الأوسط وإفريقيا – السودان

عند الحديث عن النُّخب في شرق إفريقيا، من حيث الأنواع والسمات وطُرق تأثيرها، فضلاً عن طبيعة العلاقات التي تربطها بالحكومات التي تعمل في إطارها، يبرز لنا موضوعٌ مهمٌّ في هذا المجال، ألا وهو قدرة هذه النُّخب على إحداث التغيير المأمول منها، فالذي يميّز النُّخب في شرق القار الإفريقية أنها متعدّدة ومختلفة بأدوارها، وليست نخباً ذات طابعٍ واحدٍ، فإلى جانب النُّخب السياسية والاقتصادية والثقافية؛ تبرز لنا النُّخب الدينية والقَبَليّة التي مارست أدْوَاراً مهمّةً في حفظ الأمن والسّلم الاجتماعي، إلى جانب ذلك أخذت هذه النُّخب تمارس أدْوَاراً سياسيةً مهمّة، ومن ثمّ يتضح لنا: أنه على الرغم من كون أغلب الأنظمة السياسية في شرق القارة ذات طابعٍ شمولي؛ فإنّ هذه النُّخب استطاعت

أن تفرض نفسها في ظلّ هذه النُظم السياسية. يتناول هذا المقال توصيفاً عاماً للنُّخب في شرق إفريقيا، من حيث المفهوم والأنواع والسمات، وطبيعة العلاقة التي تربطها بالأنظمة الحاكمة، إلى جانب المقارنة بينها في عملية التأثير والتغيير في مجتمعها، وأدوارها المستقبلية.

انطلق هذا البحث من فرضية مفادها: «أنّ النُّخب في شرق إفريقيا، وفي ظلّ الواقع الدوليّ الجديد، والمتمثّل بإلغاء كلّ الهياكل السياسية القديمة التي تعود بجذورها إلى فترة ما قبل الحرب الباردة، استطاعت أن تحافظ على وجودها وتأثيرها»، وهذا ما كان مدعاةً إلى طرح تساؤلٍ مركزيٍّ: ما طبيعة الأدوار التي تقوم بها النُّخب في شرق إفريقيا، وما المدى التأثيري الذي نتج عن ممارسة هذه الأدوار، وما المستقبل الذي ينتظرها؟ وللإجابة عن هذا التساؤل تمّ تقسيم البحث إلى عدّة محاور، تشكّل بمجموعها الإطار العام للبحث، فضلاً عن مقدمة، وخاتمة تتضمّن بعض الاستنتاجات التي توصّل إليها الباحث.

في مفهوم النُّخب:

إذا قيل: نَخَب فلانٌ شيئاً نَخْباً، أي: انتخبه أو انتقاه أو اصطفاه، وإذا قيل: انْتُخِبَ فُلان: أي اُصطُفِيَ من بين مجموعة من الناس، واصطفى الشيء بمعنى: اختاره واستخلصه، يقول ابن منظور في لسان العرب: «نَخَبْتُه أَنْخُبه إذا نَزَعْتَه. والنَّخْبُ: النَّزْعُ. والانْتخابُ: الانتزاع»، و «انْتَخَبَ الشيءَ: اختارَه. والنُّخْبَةُ: مَا اخْتَارَهُ مِنْهُ».

ونجد تعريف «النُّخبة» في المعاجم العربية كما يأتي: « النُّخبة... المُختارُ. وانْتَخَبَهُ: اخْتارَهُ»[1]، و «نُخْبةُ القَوم ونُخَبتُهم: خِيارُهم»، و«الانتخابُ: الاختيارُ والانتقاءُ، ومنه النُّخَبةُ؛ وهم الجماعة تُختارُ من الرجال»، و «النُّخْبة، بالضَّمِّ: المُنْتَخَبُون مِنَ النَّاسِ المُنْتَقَوْن»[2]. «ويُقَالُ: جاءَ فِي نُخَبِ أَصحابه أَي فِي خِيَارِهِمْ»[3].

أما ما يُقابل كلمة «النُّخبة» في قاموس أكسفورد؛ فهي كلمة Elite، وتدلّ على مجموعةٍ أو فئة اجتماعية معيّنة متفاضلة على غيرها، وذلك لامتلاكها ميزة اجتماعية واقتصادية وفكرية وسياسية[4].

وهناك تعاريف كثيرة لمفهوم النُّخبة، فمثلاً نجد الدكتور علي الدين هلال عرّفها بأنها: «تلك الأقلية التى تتمايز عن باقي أفراد المجتمع من حيث نفوذها وتأثيرها[5]»، وهناك مَن يعرّفها بأنها: مجموعةٌ أو فئةٌ قليلةٌ من الناس، يحتلّون مكانةً اجتماعيةً وسياسيةً واقتصاديةً مرموقة في مجتمعهم.

وبناءً على ما سبق؛ يمكننا تعريف النُّخبة بأنها: قلّةٌ من الناس، هُم خيار وصفوة قومهم، حيث تمارس هذه القلّة الدَّوْر القياديّ والمؤثّر في محيطها، بناءً على الظروف الاجتماعية والسياسية والفكرية والاقتصادية التي مرّت بها تلكم المجموعة البشرية.

أما المفهوم الاصطلاحي للنُّخب؛ فنجد تفسيره في مجموعة من التعريفات التي ظهرت في العصر الحديث، وإذا كان مفهوم النُّخب يعود إلى أعمال الفيلسوف اليوناني أفلاطون، عندما تحدّث عن ضرورة أن يحكم المجتمعَ فئةٌ قليلة/ أو جماعة من الأفراد النابهين، فإنّ التصوّر الاجتماعيّ والسياسيّ لمفهوم النُّخبة الحديث يرجع إلى دفاع المفكر الفرنسيّ سان سيمون Saint Simon عن حكم العلماء ورجال الصناعة، إلا أنّ مفهوم النُّخب مؤخراً أخذ معاني ومضامين متنوعة، وبالخصوص عندما أقرّ هو الآخر مسألة الفروق الطبقية، وأكد التفاوت بين الفقراء والأغنياء، مما حدَا أتباعه فيما بعد إلى دفع الفكرة نحو الاشتراكية[6].

---

(١) القاموس المحيط، للفيروزآبادي، ص١٧٥.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، (١/ ٧٥١ ، ٧٥٢)، دار صادر – بيروت، ط٣ – ١٤١٤هـ.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، (١/ ٧٥٢)، دار صادر – بيروت، ط٣ – ١٤١٤هـ.

(٤) 2The Oxford Thesaurus, the reader digest complete word Finder the reader's digest Association limited, London, 1993, p: 476.

(٥) اقتراب النخبة في دراسة النظم السياسية المقارنة، محمود خليفة جودة محمد – المركز الديمقراطي العربي، http://democraticac.de/?p=550

(٦) محمد بن صنيتان: النخبة السعودية دراسة في التحولات

أنواع النُّخب في شرق إفريقيا:

عندما يأتي الحديث عن النُّخب في منطقة شرق إفريقيا؛ فذلك يعني التطرّق إلى مجتمعات ودول مختلفة عرقيّاً وثقافيّاً ودينيّاً، وهذا ما يُصَعّب مهمّة بحثنا، بمعنى آخر: دول منطقة شرق إفريقيا هي دولٌ تحوي كيانات مجتمعية وديانات مختلفة، بالإضافة إلى بعض التداخل العرقي والدّيني بين بعض الدول المتجاورة، على سبيل المثال: التداخل العرقيّ والدّينيّ بين السودان وإريتريا، وكذلك بين إثيوبيا وإريتريا، والصومال وإثيوبيا، وجيبوتي والصومال، والصومال وكينيا.

ويمكننا تصنيف النُّخب في منطقة شرق إفريقيا إلى الآتي:

أولاً: النُّخبة السياسية:

تُعدّ النُّخبة السياسية ظاهرةً مجتمعيةً ملازمةً للمجتمع البشريّ عامّة، وتمثّل في الوقت ذاته ضرورة تنظيمية، تفرضها الخصوصية البنائية والوظيفية للمجتمع السياسي بوجهٍ خاص، فالبشر بطبيعتهم الإنسانية يحتاجون في كلّ اجتماعٍ إلى وازعٍ وحاكم، كما أنّ متطلبات تنظيم المجتمع السياسيّ الحديث وتصريف شؤونه؛ تقتضي ضرورة تقسيم العمل السياسيّ بين أعضائه، بحيث تختصّ قلّةٌ منهم بمهمّة رسم السياسات العامّة واتخاذ القرارات السلطوية الملزمة[1].

وتأسيساً عليه؛ يمكننا القول بأنّ النُّخبة السياسية تتكون من مجموعة من الأشخاص الذين يساهمون في تدبير شؤون العامّة، ويمتازون عن غيرهم بشجاعة اتخاذ القرار وصنعه، وهذه النُّخب تعمل تحت مظلّة أحزاب سياسية في بلدان شرق إفريقيا، على سبيل المثال: يوجد في إثيوبيا ما يقارب ٦٠ حزباً سياسيّاً مسجّلاً، منها معارضة وأخرى داخل الائتلاف الحكومي، ويُعتبر حزب الجبهة الثورية الديمقراطية الشعبية من أكبر الأحزاب السياسية في البلاد، وكذلك في جنوب السودان؛ هناك حزب الحركة الشعبية لتحرير السودان، والذي يعدّ من أقوى الأحزاب السياسية وأكبرها فيها.

ثانياً: النُّخبة الثقافية:

تشمل هذه النُّخبة: الكتّاب والروائيّين والصحافيّين والمفكّرين والمنظّرين والشعراء والفنّانين، بالإضافة إلى أساتذة الجامعات والمعاهد العليا، على سبيل المثال توجد في أوغندا: المؤسّسة الأوغندية للثقافات المشتركة، وتنشط هذه النُّخب تحت مظلّة هذه الاتحادات والمؤسّسات الثقافية.

ثالثاً: النُّخبة القَبَليّة:

على غرار المجتمعات العربية مجتمعات شرق إفريقيا، يغلب عليها الطابع القَبَلي، وتُعتبر القبيلة في شرق إفريقيا من أهمّ الكيانات الاجتماعية والسياسية التي تساهم مساهمةً كبيرةً في الدول الإفريقية، فالقبيلة هي مجموعة بشرية غالباً ما تنتمي إلى نَسبٍ واحدٍ يعود إلى جدٍّ واحد، وتتكون القبيلة من مجموعة عشائر وبطون، وفي غالب الأمر أفراد القَبَليّة يعيشون في إقليمٍ واحدٍ يعتبرونه موطنهم، ويخضعون لإمرة شخص يُطلق عليه اسم «شيخ القبيلة» أو «ناظر القبيلة»، وبذلك يمكننا أن نقول: النُّخب القَبَليّة في شرق إفريقيا تتكون من شيوخ القبائل أو النظّار وشيخ العشيرة، ويُطلق عليهم «أعيان القبائل». وهناك قبائل ذات ثقلٍ اجتماعيٍّ وسياسيٍ في دولها، مثل قبيلة الدينكا في دولة جنوب السودان، واعتمادها على ثقلها السياسي والاجتماعي، واضطهادها لبقية القبائل الذي أدى إلى انفجار الوضع في جنوب السودان.

رابعاً: النُّخبة الدينية:

تتمثّل النُّخب الدينية في: المشايخ ووجهاء الطوائف الدينية، وعلماء اللاهوت والعقيدة، وكلّ مَن يشكّلون مراجع دينية وأصبحوا زعماء لأتباعٍ تجمعهم رابطة دينية، فمثلاً الحاخامات يُعتبرون نخبة اليهود، كما يُشكّل بابا الكاثوليك وكاردينالات الفاتيكان نخبة المسيحيين، بينما نخبة المسلمين هُم الفقهاء وعلماء الدين وشيوخ الطرق

والإخفاقات، مركز الوحدة العربية، سلسلة أطروحات الدكتوراه، العدد (٤٨)، (٢٠٠٥)، ص٢٣.

(١) أسامة معقافي: النخبة الحاكمة ومسار التحول الديمقراطي دراسة حالة تونس (١٩٨٧م – ٢٠١٠م)، مذكرة التخرج لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية تخصّص: الدراسات المغاربية، جامعة الجزائر- كلية العلوم السياسية والإعلام/ قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، (٢٠١١م)، ص٢.

الصوفيـة. وهناك كيانات فـي بلدان شـرق إفريقيا تعمل فـي إطارها النُّخـب الدينية، على سبيل المثـال: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في إثيوبيا، والمجلس الإسلامي في جنوب السودان، وهيئة علماء الصومال في الصومال.

خامساً: النُّخبة الاقتصادية:

تضـمّ هذه النُّخبـة أفراداً تمكّنوا عـن طريق التجارة أو الصناعة، وهُـم أصحاب ممتلكات وعقـارات وشركات وأرصـدة ماليـة ضخمـة، ويتجمّعون في اتحـادات خاصّة بهـم، بمعنـى آخـر النُّخبـة الاقتصادية هـي النُّخبة التي تحتكر بيدهـا عوامل الإنتاج وموارده فـي مجتمع ما، وإذا بحثنـا سبل إيجادهـا في شـرق إفريقيـا؛ فسنلاحظ أنه مرتبـطٌ بالأنظمـة المتحكّمـة في بلـدان المنطقـة، فمن المعلـوم مثـلاً أنّ النظـام الإريتـري هـو نظـامٌ شيوعي، والأنظمـة الشيوعية لا تتيح للنُّخبـة التجارية أن تبزغ؛ لأنّ الحكومة هي مَـن تسيطر على عوامل الإنتاج وموارده، وإن أتاحـت للنُّخبة الاقتصادية البزوغ؛ فمن الصعب أن تسمح لها بأن تتصرف بعيداً عن سيطرتها.

سادساً: النُّخبة العسكرية:

مارسـت النُّخب العسكريـة دَوْراً مهمّاً في دول شرق إفريقيـا فـي نَيْل استقلالها مـن القـوى الاستعمارية، وما زالت تتصدّر المشهد السياسيّ والاجتماعيّ في أغلب دول المنطقـة، ومثلاً نجد في أحـدث دولة في المجتمع الدوليّ اليـوم، وهـي دولـة جنـوب السـودان، نالت بفضـل جهود النُّخـب العسكرية استقلالها مـن جمهورية السودان، لكن منـذ أن استقلت تتصدّر هـذه النُّخبـة العسكرية المشهد السياسـيّ والاجتماعـيّ وحتـى الاقتصاديّ فـي المجتمع الجنـوب سودانـي، حتـى إنّ أغلـب قادة الحـزب الحاكم «الحركـة الشعبية لتحرير السـودان» في دولة الجنوب هُم من النُّخبة العسكرية.

سمات النُّخب في شرق إفريقيا وتأثيراتها:

تختلـف كلّ نخبة عـن غيرها في سماتهـا ومميزاتها التـي تمتاز بهـا، ويمكننا عرض سمات النُّخـب في شرق إفريقيا وتأثيراتهم العامّة حسب نوعها كما يأتي:

تعود العلاقة المتميّزة بين النُّخب السياسية والحكومات؛ إلى كونها وليدتها وتعمل ضمن إطارها السياسي

النُّخب السياسية:

– صنع القرار: تعدّ النُّخبة السياسية في منطقة شرق إفريقيـا هي مَن تصنع القـرارات، ولكن الأمر يختلف من دولة لأخرى حسب الأنظمـة الحاكمة، ففي إريتريا النُّخبة السياسية هي نخبة حزب الجبهة الشعبية، وهي مَن تصنع القـرارات، أما في بقيـة الدول، كإثيوبيـا وكينيا وأوغندا، فـأدْوَار النُّخبة السياسية في عملية صنـع القرار متباينة، لكن التأثير الأقوى للأحزاب الحاكمة.

– حشـد الرأي العـام: أيضاً تؤدي النُّخبـة السياسية دَوْراً مؤثّـراً فـي حشـد الـرأي العـام بأنواعـه المختلفـة (العفـوي، الفعّال، والمؤقت)، على سبيـل المثال: حاولت النُّخبة السياسية في الصومال حشد الرأي العام من أجل التفاعل مع القضايا المهمّة والمخاطر المحدقة بالبلاد.

النُّخب الدينية:

– إصدار الفتاوى: النُّخبة الدينية هي الجهات التي تُصدر الفتـاوى في شـرق إفريقيا، فمثـلاً الجهة المنـوط بها إصدار الفتاوى في إثيوبيا هي المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

– تنظيـم المظاهـرات: فـي حـال حـدوث تطـوّرات عالمية تهمّ العالم الإسلامـي؛ تحاول هذه النُّخب الدينية الإسلاميـة تنظيم تظاهرات من أجـل دفع أفراد المجتمع إلـى التفاعل مع الأحداث التي تخصّ دينهم، فمثلاً هيئة علمـاء الصومال عندما وقع هجـومٌ إرهابيٌّ قرب المسجد النبـوي نظّمت تظاهرةً تندّد بالهجـوم، وخطب في الجمع الغفير رئيسُ الهيئة الشيخ بشير أحمـد صلاد، وعبّر عن أسفه الشديد للاعتداء الغاشم.

– ترتيب الفعاليات الدينية: فالكيانات التي تعمل في إطارها النُّخب الدينية هي مَن تنظّم الفعاليات والأعياد الدينية في بلدان شرق إفريقيا.

النُّخب الاقتصادية:

تاريخيًّا؛ قامت الجمعيات الاقتصادية بدَوْرٍ مهمّ في نَيْل بلدان شرق إفريقيا لاستقلالها عن الدول الاستعمارية، ولكن بمرور الزمن تضاءل دَوْرها، وخصوصاً بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، لأنّ أغلب هذه الجمعيات كانت تحت سيطرة المدّ الشيوعي آنذاك، وأما اليوم فما تزال تؤدي دَوْراً سياسيّاً برغم سيطرة الأنظمة عليها، ومن تأثيراتها:

– المساهمة في خلق علاقات خارجية للدول: فمثلاً يساهم اتحاد أصحاب العمل بجنوب السودان في توطيد علاقة دولة جنوب السودان بجيرانها.

النُّخب القَبَليّة:

– الحفاظ على الأمن والسّلم الاجتماعي: تقوم النُّخب القَبَليّة بدَوْرٍ فاعلٍ في الحفاظ على الأمن والسّلم الاجتماعيّ في أغلب دول شرق إفريقيا، فمثلاً في جنوب السودان يمثّل شيخ/ أو كبير القبيلة قاضيّاً يقضي بين الفرقاء في المجتمع الجنوبي.

– الدَوْر السياسي: تحاول النُّخب القَلَبية، في أغلب دول شرق إفريقيا، ممارسة دَوْرٍ سياسي، بالتأثير في النُّخب السياسية أو التقرّب منها، على سبيل المثال في جنوب السودان هناك مجلس كبار قبائل الدنيكا، وهو منظومة سياسية تحت غطاء قَبَلي– حسب الباحث الجنوب سوداني دينق زكريا ضوم–، بمعنى أنّ هذا المجلس يحاول التأثير في قرارات النُّخب السياسية في جنوب السودان.

– الدَّور العسكري: تقوم هذه النُّخب القَلَبية أيضاً بدَوْرٍ عسكريٍّ في بعض بلدان شرق إفريقيا، فمثلاً في الصومال بعد انهيار نظام سياد بري في تسعينيات القرن الماضي وانهيار مؤسّسات الدولة، وخصوصاً المؤسّسة العسكرية، مارست النُّخب القَبَليّة دَوْراً عسكريّاً سالباً، حتى أصبح زعماء القبائل قادة حرب؛ مما أدى إلى إطالة أمد الحرب في الصومال.

النُّخب الثقافية:

– نشر الوَعْي الثقافي: هناك جمعيات ومنتديات ثقافية في أغلب بلدان القرن الإفريقي، تقوم بإعداد معارض كتاب ودورات ثقافية، تحاول من خلالها نشر الفكر والوَعْي الثقافي بين أفراد المجتمع.

– تفعيل دَوْر الاتحادات الثقافية: تقيم النُّخب الثقافية دَوْرات ومعارض تحاول عبرها تفعيل دَوْر الاتحادات والجمعيات الثقافية في بلدانهم، وعلى سبيل المثال في أوغندا، بمبادرات من مجموعة من النُّخب الثقافية، تنظّم المؤسّسة الأوغندية للثقافات المشتركة معرضاً سنويّاً، تسعى من خلاله إلى تفعيل المنظمات الثقافية في البلاد.

النُّخب العسكرية:

– الدَّور السياسي: تؤدّي النُّخب العسكرية دَوْراً سياسيّاً بارزاً في أغلب دول شرق إفريقيا، فمثلاً في الصومال مارست دَوْراً سياسيّاً تاريخيّاً بارزاً في عهد سياد بري، وأيضاً في جنوب السودان يلاحظ أن مَن يتحكّم في القرار السياسي هي النُّخبة العسكرية؛ بدلالة أنّ رئيس البلاد سلفاكير مَياردیت هو من هذه النُّخبة.

– تقديم المشورة الأمنية للنُّخب السياسية: أيضاً تقدّم النُّخب العسكرية المشورة الأمنية للنُّخب السياسية الحاكمة، وعندما يتقاعد بعض عناصر النُّخبة العسكرية تحاول الأنظمة السياسية الاستفادة منهم في مهام أخرى، منها مثلاً استشارتهم في المسائل الأمنية.

المقارنة بين النُّخب من حيث التأثير:

عندما تطرقنا إلى النُّخبة السياسية في شرق إفريقيا بيّنّا أنها تدور في فلك الأنظمة الحاكمة، ولا تستطيع الخروج عن النّسق العام الذي تفرضه الأنظمة الشمولية في شرق إفريقيا، فدَوْرها في التنمية السياسية أو التأثير والتغيير في مجتمعات شرق إفريقيا ليس بالمستوى المطلوب؛ لأنّ الأنظمة هي مَن أوجدتها، بعبارة أخرى مصير صعودها وهبوطها مرهونٌ بالقيادة الحاكمة في بلدان شرق إفريقيا.

وبالرغم من مسؤولية الجميع عن الواقع الذي تعاني منه مجتمعات شرق إفريقيا؛ فإنّ مسؤولية النُّخبة السياسية والدينية والثقافية والقَبَليّة أكبر، لضعف قيامها بدَوْرها الطلائعي في عملية التغيير والتأثير في أفراد المجتمعات، لذلك تعتبر شريكة الأنظمة الشمولية في الواقع الذي تعاني منه مجتمعات شرق إفريقيا، مع العلم بأنّ دَوْرها المفترض هو صناعة الأفكار، ومحاربة

الفساد، والتوعية بالأخطار المحدقة بالأوطان، وتعميم المعرفة الثقافية والسياسية والدينية والتجارية في الوسط الاجتماعي، وهذا غير متحقّق في النُّخب بدول شرق إفريقيا.

بالرغم من أننا نؤمن بأنّ النُّخب في شرق إفريقيا لا تقوم بالدَّور المرجو منها كاملاً، لكننا نلاحظ مما تقدم أنّ النُّخب السياسية تعدّ هي الأكثر نشاطاً وتأثيراً في عملية التغيير والتأثير على الأفراد في مجتمعات شرق إفريقيا، ولأنّ الأنظمة هي مَن أوجدتها، كما أسلفنا، فبدلاً من أن تساهم في عملية التغيير والتأثير على أفراد مجتمعها تساهم في حماية أنظمتها.

وأما النُّخب الأخرى؛ فيُلاحظ أنّ النُّخب الثقافية مثلاً تتمتع بشيءٍ من الحرية في بعض دول شرق إفريقيا؛ ما يمكّنها من ممارسة دَوْرها الفكري في عملية التغيير والتأثير، ولكن في دولةٍ كإريتريا يصعب عليها المساهمة في عملية التأثير والتغيير بسبب تحكّم النظام في مفاصل الحياة.

ما طبيعة العلاقة بينها وبين الحكومات، وفيما بينها، هل هي علاقات تقاطع؟ أو علاقات تكامل؟

علاقة النُّخب بالأنظمة:

وتأسيساً على ما سبق؛ يمكننا استخلاص طبيعة العلاقة بين النُّخب السياسية والحكومات في شرق إفريقيا، فهي علاقة تكاملية، لأنّ الأنظمة السياسية في شرق إفريقيا لا تسمح للنُّخب السياسية بممارسة دوْرها باستقلالية، ولذلك دائماً ما تحاول هذه النُّخب الحفاظ على علاقة تكاملية مع تلك الأنظمة بدلاً من التصادم معها، ولأنّ تلك الأنظمة دائماً ما تُنكّل بالفئات التي تحاول التأثير والتغيير في مجتمعها، وتوقف نشاطاتها أو تصادر دَوْرها أو صحفها السياسية، مثال لذلك إثيوبيا؛ فعندما تظاهرت المعارضة ضدّ نتائج انتخابات ٢٠٠٩م؛ قام النظام الإثيوبي باعتقالاتٍ واسعةٍ بين الصحافيين السياسيين والساسة المعارضين[١].

وكذلك العلاقة بين معظم أنواع النُّخب الأخرى وتلك الأنظمة تتصف بأنها علاقة تكاملية؛ مثل علاقة النُّخب القَبَليّة بالأنظمة الحاكمة، وعلى سبيل المثال قبيلة الدينكا في جنوب السودان هي جزء من النظام الحاكم.

وكذلك علاقة النُّخب الدينية بالأنظمة؛ لأنها تحاول دعم شرعية تلك الأنظمة، فمثلاً المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في إثيوبيا جعله النظام الإثيوبي تحت سيطرة أقلية الأحباش من أجل ضبط المسلمين في إثيوبيا، فهناك علاقة تكامل بين النظام الإثيوبي ومجموعة الأحباش، فالأحباش يريدون تعميم فكرهم في وسط المسلمين في إثيوبيا من جهة، والنظام الإثيوبي يريد مَن يضبط له الحراك الإسلامي من جهةٍ أخرى، حيث وجد ضالته في مجموعة الأحباش صاحبة الفكر الوافد على المجتمع الإثيوبي المسلم، ومن هذا المنطلق يمكننا توصيف العلاقة بين النظام الإثيوبي والنُّخب الدينية بأنها تكاملية.

وكذلك علاقة النُّخب الثقافية بالأنظمة يمكن وصفها بالتكاملية ما لم تقم بنشاطٍ سياسيٍّ معارض، وإذا ما قامت بأيّ نشاطٍ معارضٍ لا ترضى عنه الأنظمة فمصيرها هو الإيقاف.

علاقة النُّخب فيما بينها:

علاقة النُّخب القَبَليّة بالنُّخب الثقافية يمكن وصفها بأنها علاقة تقاطعية؛ لأنّ النُّخب القَبَليّة ترى في النُّخب الثقافية مهدّداً لمكانتها الاجتماعية؛ باعتبار أنّ النُّخب الثقافية تحاول محاربة ما يُسمّى بالقَبَليّة والتقليل من شأن النظام القَبَليّ بشرق إفريقيا.

أما النُّخب السياسية؛ فعلاقتها بالنُّخب الدينية والقَبَليّة علاقة شبه تكاملية؛ لأنّ النُّخب السياسية دائماً ما تحاول كسب دعم النُّخب القَبَليّة والدينية في العراك الانتخابي الشكلي، والنُّخب القَبَليّة من جهتها أيضاً تحاول التأثير في النُّخب السياسية، وذلك لكسب الدعم الماديّ والمعنويّ منها، فمثلاً عندما يخوض السياسي الجنوب سوداني انتخابات فإنه يحاول الاستناد على قبيلته، مثل السياسي المخضرم لام أكول رئيس حزب الحركة الشعبية لتحرير السودان- التغيير الديمقراطي، والذي ينتمي إلى قبيلة الشلك، وقواعد الحزب هم أيضاً من المنتمين إلى هذه القبيلة.

(١) ضياء طارق، ن بوست، في ٢٣, ٠٨, ٢٠١٧. http://www.noonpost.org/content/12298

وأمـا علاقة النُّخـب الثقافية بالنُّخـب الاقتصادية؛ ففـي بعض دول شـرق إفريقيـا تكـون تكاملية، ويمكن الاستـدلال بالمؤسّسـة الثقافيـة المشتركـة الأوغنديـة، حيث نظّمـت فعالية وضعت من خلالهـا مبادئ توجيهية للشركات النفطيـة، ونقصد بالمبادئ التوجيهية: تعريف الشـركات المنقّبـة بطبيعة سـكان المنطقـة وثقافتهم، وهـذا يعني وجـود تواصـلٍ وعلاقة تكامل بيـن النُّخبتَين الثقافية والاقتصادية في أوغندا، وهذا ما لم نشاهده في بقية دول المنطقة[١].

وعلاقـة النُّخـب العسكرية بباقـي النُّخـب الأخرى تختلف مـن بلدٍ لآخر، فمثلاً علاقتهـا بالنُّخب السياسية في الصومال وإثيوبيا وأوغنـدا يمكن وصفها بالتكاملية، مثل علاقتها بالنُّخـب الاقتصادية إن لم تمثل هي نفسها النُّخـب الاقتصادية فـي بعض بلدان شـرق إفريقيا، أما علاقتهـا بالنّخـب القَبَليّـة فـي الصومال فهـي متداخلة ومتكاملـة، ولا يمكـن الحديـث عـن علاقةً لهـا بالنُّخب الأخرى كالثقافية.

تأمّلات في طبيعة أدْوَار النُّخب في شرق إفريقيا: ما بين حقيقة الواقع وافتراضات المستقبل:

صحيـحٌ أنّ الزمـن القـادم (المستقبـل) لـم يـأت بعـد، وهو ما يجعـل معرفـة تفاصيله أمـراً بالغ الصعوبـة، إن لـم يكـن مـن (الأمـور المستحيلـة)، ولكننـا على الرغم مـن ذلك نعتقـد أنّ الاعتماد على عـددٍ من المعطيات يمكّننا من إيجاد الإطار العام له، والاقتراب من معرفة تلك الاحتمالات، وهي احتمالات قابلـة للتحقـق إذا مـا توفّـرت الظـروف الموضوعية لحدوث تلـك المعطيات، وعند الحديـث عن مستقبل الدَّوْر الذي ستمارسه النُّخب في شرق إفريقيا؛ تُطرح ثلاثـة مشاهـد مستقبلية في هذا المجـال، وهي على النحو الآتي:

مشهد الاستمرارية: يفترض هذا المشهد أنّ النُّخب فـي شرق إفريقيا، ونظراً للطبيعـة المعقّدة التي تعمل من خلالها، إلى جانب التنوّع الذي تتميز به بين نخبٍ سياسية واقتصاديـة وثقافية ودينية وقَبَلية، سوف تستمر بممارسة الأدْوَار نفسهـا التي تمارسها في الوقت الحاضر، من حيث التأثير، خصوصاً النُّخب السياسية، التي تعتبر أكثر تأثيراً من غيرها، وبالتالي فإنّ هذه الفرضية تقودنا إلى النقاط الآتية:

- اتجـاه أغلـب الأنظمـة السياسيـة فـي دول شـرق إفريقيا إلـى الاستمرار بإنتاج نُخبهـا الخاصّة بها، وذلك لتقزيـم الأدْوَار التـي تمارسهـا النُّخـب التـي تعمل خارج إطارها، وتحديداً في المجال السياسي.
- استمـرار محدوديـة الـدَوْر الـذي تمارسـه باقـي النُّخب.
- اتجـاه النُّخـب الدينيـة والقَبَليّة إلى مزيـدٍ من مدّ جسور التعاون والعلاقة مع الأنظمة الحاكمة.

مشهـد التغييـر: يفترض هـذا المشهد: أنـه نظراً لطبيعة التغيّرات التي عصفت بمنطقة الشرق الأوسط، خصوصاً بعد الحراك الذي أُطلق عليه «الربيع العربي»، إذ عمـل هذا الحراك علـى إنتاج نُخـب، أو تفعيل أدْوَار نُخـب أخـرى كانت معطّلة في ظـلّ الأنظمة التي عصف بها هذا الحـراك أو «الربيع العربي»، فإنّ عملية التغيير هذه قـد تلامـس تأثيـرات النُّخب فـي شـرق إفريقيا، خصوصـاً أنّ بعض دولها قريبة مـن ليبيا ومصر اللتين كان لهمـا حصة الأسد من عمليـة التغيير هذه، ومن ثمّ فإنّ المستقبل قد يشير إلى تفعيل أدْوَار النُّخب في شرق إفريقيـا كجـزءٍ من عمليـة تغيير أخرى قـد تجتاح دول شرق القارة.

مشهـد الاستمراريـة والتغيير: يفترض هـذا المشهد أنـه، ولطبيعـة الضغوط التي أفرزتها التطـورات الجديدة في منطقة الشرق الأوسط، تتّجه أغلب الأنظمة السياسية فـي دول شرق إفريقيا إلى احتواء وتفعيل دَوْر النُّخب فيها، كخطـوة لقطع الطريق أمام أيّ عمليـة تغييرٍ محتملة، إلى جانب إذابـة دَوْر هذه النُّخـب داخل أنظمتهـا السياسية، وبالتالي تصبح هنـاك عملية تكامل بين الأدْوَار التي تقوم بها النُّخب، والأدْوَار التي تقوم بها الحكومات.

(١) The Cross- Cultural Foundation of Uganda, in 23.08.2017 http://crossculturalfoundation.or.ug/cultural-institutions-set-guidelines-oil-companies/.

الخاتمة:

مـن خلال ما تقـدّم ذكره؛ يمكـن القول بـأنّ النُّخب في شـرق إفريقيـا مارسـت أدْوَاراً مؤثّرة فـي العديد من المستويات:

على المستوى السياسـي: يتضّح دَوْر النُّخب في شرق إفريقيـا فـي هذا المجـال، فهي أكثـر فعالية مـن النُّخب الأخـرى، وذلـك نظـراً لعلاقتهـا المتميّـزة بالسلطـات الحاكمـة فـي أغلب بلـدان الشـرق الإفريقـي، وتعود هذه العلاقـة المتميّزة بيـن النُّخب السياسيـة والحكومات إلى كونهـا وليدتها وتعمل ضمن إطارهـا السياسي، كما تتميّز النُّخـب السياسية بكونها أكثر نشاطاً من غيرها في عملية المشاركة في صنع القـرارات السياسية داخل المجتمعات التي تنشط فيها.

علـى المستوى الاقتصادي: أمـا النُّخب الاقتصادية؛ فهـي- وكما هو واضح مـن عنوانها الرئيـس- نشطت في المجـالات الاقتصاديـة والتجاريـة، مـن خـلال الشبكـة المميـزة للعلاقات التـي أنشأتها هي الأخـرى مع الأنظمة الحاكمـة، وذلـك عن طريـق رجـال الأعمـال والشركات التجاريـة والمؤسّسـات الاقتصاديـة العاملـة، والتي تعود بالنفع المتبـادل عليها وعلى الحكومـات، فنظراً لسيطرة الحكومـات في شرق إفريقيا علـى عوامل الإنتاج وموارده، يبرز دَوْر النُّخب الاقتصادية من خلال الاستفادة من هذه الموارد وتحويلها إلى فائدة مشتركة بين الطرفَيْن.

علـى المستوى القَبَلي: يمكن القول بأنّ النُّخب القَبَليّة في دول شـرق إفريقيا- بالمجمل- مارسـت أدْوَاراً مكمّلةً لـدَوْر الدولـة، من خلال مساعـدة الحكومـات على بسط الأمن والاستقرار الاجتماعي، إلى جانب ممارستها أدْوَاراً سياسيـة من خـلال دعم بعض السياسيّيـن المحسوبين عليهـا، إلا أنّ هذا الدعم يدخل في إطار المنفعة المتبادلة بين الطرفَيْن.

علـى المستوى الديني: كمـا أشرنا في أعـلاه، تتمثل النُّخـب الدينية في معظـم دول شرق إفريقيـا، من رجال دين مسلمين ومسيحيّين، ومارست هي الأخرى دَوْراً مؤثّراً فـي مجتمعاتها، من خـلال الفتوى والإرشـاد الديني، كما يمارس بعضها نشاطـاً مؤسّسيّاً من أجـل تفعيل دَوْر هذه النُّخبـة وزيـادة نشاطهـا الاجتماعـي، كما هـو الحال في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في إثيوبيا.

علاقة النُّخب العسكرية بباقي النُّخب الأخرى تختلف من بلدٍ لآخر، فمثلاً علاقتها بالنُّخب السياسية في الصومال وإثيوبيا وأوغندا يمكن وصفها بالتكاملية

على المستـوى الثقافي: برز دَوْر النُّخـب الثقافية في دول شرق إفريقيا من خلال النشاطات الثقافية التي تقوم بها، سـواء عن طريـق الملتقيـات الثقافيـة والأدبية التي تنظمهـا، أو عن طريـق المؤسّسات التـي تنتشر في أغلب هذه الدول، وقد أسهمت النُّخب الثقافية في إصدار العديد من الكتـب والمجلات، التي كان لها الأثر الكبير في توعية المواطن وتثقيفه في دول شرق إفريقيا.

على المستـوى العسكري: هناك اتفـاق على أنّ مهمّة الجيوش الحديثـة هـي حمايـة البلـدان مـن المهـدّدات الخارجيـة والداخليـة، لا الانشغـال بـالأدْوَار السياسيـة والاقتصادية والاجتماعية، لكن هذه النُّخب- كما أوضحنا فيما سبـق- تمارس أدْوَاراً اقتصاديـة وسياسية في بعض بلـدان شرق إفريقيا، وإذا ما تفاعلت ونشطت بقية النُّخب في أدْوَارها المفترض أن تقوم بها؛ فلعلّ النُّخب العسكرية تكتفي بأداء دَوْرها الدفاعيّ عن الأوطان فقط ■